

الابتداء بحمد الله

في بعض الروايات: { كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله } فلذلك جمع بينهما فقال: والحمد لله كما هدانا إلى سبيل الحق واجتباننا (الحمد): ذكر محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه وإجلاله، هكذا يعرفه بعضهم، وقيل: (الحمد): فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه ممنوعاً على الحامد وغيره، فالحمد في الأصل هو: الثناء، ويطلق عليه حمد، جاء في الحديث: { إذا قال العبد: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ؛ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: { الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } قال الله: أثنى علي عبدي، وإذا قال: { مَا لِيكَ يَوْمَ الدِّينِ } قال الله: مجدني عبدي } . فالله تعالى محمود على كل حال، ويحمد على السراء وعلى الضراء؛ وذلك لأنه سبحانه إنما يقدر ما فيه خير ولو أنه صار في الظاهر: كمرض، وفقير، ونحو ذلك، فيحمد على كل حال. ولكن الناظم هنا صرح بسبب الحمد: والحمد لله كما هدانا يعني: أننا نحمده على أمر عظيم وهو الهداية، هدانا إلى أي شيء؟ إلى سبيل الحق؛ فإنها نعمة عظيمة يعني: دلنا وأرشدنا إلى سبيل الحق، (الهداية) هي: الإيضاح للنشيء والدلالة عليه، (وسبيل الحق) هو: الصراط السوي الذي ليس فيه اعوجاج ولا انحراف، (واجتباننا) يعني: اختارنا، فإنه -سبحانه- يختار من يشاء، في قوله تعالى: { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ } فإذا وفقك الله تعالى للسبيل السوي، وثبتك عليه، فأنت ممن اجتباهم، يعني اختارهم كصفوة من عباده، وذلك لأنه هدى من شاء بفضله، وأضل من شاء بعدله، فيعترف العبد بفضله عليه. ويقول: أحمده سبحانه وأشكره ومن مساوي عملي أستغفره يعني: أجمع له بين الحمد والشكر، والحمد أسبابه أعم من أسباب الشكر؛ لأن الله تعالى يحمد على السراء وعلى الضراء، والشكر إنما يكون على السراء، ولكن قالوا: الحمد يكون باللسان، وأما الشكر فيكون باللسان وبالجان وبالأركان؛ ولذلك يقول بعض الشعراء: أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا يعني أن نعمكم علي أفادتكم ثلاثة مني: أني أشكركم بيدي، وأشكركم بلساني، وأشكركم بضميري الذي هو القلب فيكون الحمد أعم سببا، والشكر أعم متعلقا. (والتسبيح): التقديس، أحمده سبحانه يعني هو الْمُسَبِّحُ يعني الْمُقَدَّسَ وَالْمُتَرَّعَ.